البلاغة والخطاب

1- البلاغة والخطاب القرآني

تقديم

البلاغة من علوم اللسان العربي التي لا بد منها في أي شكل من أشكال التعامل مع الخطاب القرآني، فمعلوم أن الوقوف عند دلالات الأساليب البلاغية والتركيب اللغوية ومعانيها وأغراضها ومقاصدها وسياقاتها ومقامات إجرائها التخاطبية، إجراءات لامناص منها في فهم الخطاب القرآني وتفسيره وتأويله. لذلك كان علماء الأصول والفقهاء والمفسرون مهتمين بهذه الأساليب وبدلالاتها، وكانوا يعدون الإلمام بعلوم العربية من شروط المفسر؛فالأساليب البلاغية متنوعة،ومعانيها متعددة تعدد السياقات التخاطبية والمقامات التداولية، مما يستدعي إلماما ومعرفة بها وبأغراضها ومقاصدها المرتبطة بتلك السياقات والقرائن.

أضف إلى ذلك أن معظم الأساليب الخبرية والإنشائية قد تخرج عن معانيها الأصلية لتفيد معانيَ مقامية تستخلص من سياق المقام. فدلالة الأمر، ليست دائما هي الأمر الحقيقي، فقد يدل على الندب أوعلى الإباحة أو على النصح والتوجيه أوعلى التعجيز أو على التهديد. والاستفهام قد يفيد التحسر والتقرير والإنكار والالتماس والتعجب والاستغراب والتوبيخ وغير ذلك مما يرتبط بمقاصد المرسِل. والخبر قد يدل على الطلب أو الأمر أو الثناء أو غير ذلك. فمعرفة أغراض الأساليب البلاغية ودلالاتها ومقاصدها مما لا بد منه في التعامل مع النصوص الشرعية قراءة وفهما وتفسيرا واستنباطا.

وقد اهتم علماء البلاغة العربية المتقدمون بهذه الأغراض والمقاصد، منذ وقت مبكر؛ إذ نجد أبا عبيدة في "مجاز القرآن"،يفسر الآيات التي أفادت أساليبها معاني مقامية، بقوله "ومجازه كذا"، أو ببيان المعنى المراد، قال في قوله تعالى: (**أتجعل فيها من يفسد فيها**)،"جاءت على لفظ الاستفهام، والملائكة لم تستفهم ربها، وقد قال تبارك وتعالى: (إني جاعل في الارض خليفة)، ولكن معناها معنى الإيجاب. أي: إنك ستفعل"، ثم استدل بقول جرير لعبد الملك بن مروان:

ألستم خير من ركبَ المطايا *** وأندى العالمين بُطونَ راحِ

وبين أنه "أوجب ولم يستفهم"، أي أن الاستفهام في بيت جرير أفاد التقرير لا السؤال. ثم أضاف: "وتقول وأنت تضرب الغلام على الذنب: ألست الفاعل كذا؟ ليس باستفهام ولكن تقرير"[1].

ونجد عند ابن قتيبة في كتابه"تأويل مشكل القرآن"[2]، بحث مهم في دلالات الأساليب والصيغ، يدل على الوعي المبكر بأساليب العرب وما تؤول إليه من دلالات وأغراض عندما تجري على خلاف أصل الوضع. وكذلك الأمر عند ابن فارس، إذ نجد عنده في كتابه: "الصاحبي في فقه اللغة" بحثا مهما تحت عنوان "معاني الكلام"، بين فيه ما تؤول إليه أساليب الخبر والاستخبار من دلالات مقامية[3].

وقد أصبح هذا المبحث من المباحث المهمة في الدرس البلاغي واللساني الحديث.

حاجتنا إلى البلاغة في التعامل مع الخطاب القرآني:

يحتاج قارئ القرآن الكريم المتدبر له إلى البلاغة حاجته إلى علوم اللغة الأخرى أو آكد. فالقرآن الكريم جاء بلسان عربي مبين. لذلك نجده غنيا بالأساليب البلاغية التي تنوعت بين أساليب البيان وأساليب علم المعاني وأساليب البديع. وقد تتوقف القراءة والفهم والتدبر، في كثير من الأحيان على هذه الأساليب، فلا يحصل الانتفاع بالقرآن الكريم بدونها. وفيما يلي بيان ذلك.

غنى القرآن الكريم بالأساليب البيانية

إذا أخذنا جانب البيان في القرآن الكريم، وجدنا أساليبه قد تنوعت بين التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز. وكل تلك الأساليب تسهم في فهم الآيات وتساعد على تفسيرها.

فلننظر، على سبيل المثال، إلى قوله تعالى: ﴿أوَ منْ كان ميّتا فأحيَيْناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُيّنَ للكافرين ما كانوا يعملون﴾ الأنعام 122.

فالمعرفة بالتمثيل والاستعارة تجعل القارئ لهذه الآية مدركا المقصود والمراد، فالآية جعلت الجاهل ميتا، والعالِم حيا،يبصر بنور الإيمان، فهو يمشي بين الناس مبصرا طرق الهداية والرشد، بخلاف الجاهل، فهو كالأعمى لا يعرف طريقا للهداية ولا سبيلا للإبصار، فهو يتخبط في ظلمات الجهل والشك والحيرة. قال عبد القاهر الجرجاني في هذه الآية: « ثم لما كان هذا مستقرئ في العادة، أعني جعل الجاهل ميتا خرج منه أن يكون المستحق لصفة الحياة هو العالم المتيقظ لوجه الرشد، ثم لما لم يكن علمٌ أشرف

[1] - ينظر مجاز القرآن، ج 1 ص 35-36.

[2] - ينظر كتاب تأويل مشكل القرآن ص275 وما بعدها،

[3] - ينظر الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق، مكتبة المعارف- بيروت، ط1 (1414هـ/1993م)، ص 183 وما بعدها.

وأعلى من العلم بوحدانية الله - تعالى- وبما نزله على النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل من حصل له العلم، بعد أن لم يكن، كأنه إنما وجد الحياة وصارت صفةً له مع وجود نور الإيمان في قلبه وجعل حالته السابقة التي خلا من الإيمان كحالة الموت التي تعدم معه الحياة وذلك قوله تعالى: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه ﴾ وأشباه ذلك»[1].

ثم لنتأمل قوله تعالى: ﴿واضربْ لهم مثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ الكهف: 45.

فالخطاب القرآني، توسل بأسلوب التمثيل لتوضيح حقيقة الحياة الدنيا للعباد حتى لا يغتر المخاطب بها ولا يفتتن بشهواتها ومتاعها، لأن العباد يعرفون هذه الحقائق الطبيعية، فهي مدركة عندهم، يلاحظونها باستمرار. فقد يكون النبات مُعجِبا في صورته، مثمرا بفضل الماء الذي أنزله الله من السماء فأغاثه غيثا جعله ينمو ويثمر. لكن هذا النبات لا يدوم على هذه الصورة، إذ سرعانما يصير هشيما بعدما تشتد الحرارة، فإذا جاءت الرياح تطايرت به كأنه لم يكن. فزوال النبات بهذه الصورة، رغم أنه كان مُعجِبا، شبّه به زوال الدنيا المعجبة بأموالها وأولادها وملذاتها وشهواتها. إذ كل ذلك معرض للزوال.

قال الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: "كان أعظم حائل بين المشركين وبين النظر في أدلة الإسلام انهماكهم في الإقبال على الحياة الزائلة ونعيمها، والغرور الذي غر طغاة أهل الشرك وصرفهم عن إعمال عقولهم في فهم أدلة التوحيد والبعث كما قال تعالى: ﴿وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ﴾ المزمل 11. وكانوا يحسبون هذا العالم غير آيل إلى الفناء ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ الجاثية 24. وما كان أحد الرجلين اللذين تقدمت قصتهما إلا واحداً من المشركين إذ قال: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ الكهف 36. فأمر الله رسوله بأن يضرب لهم مثل الحياة الدنيا التي غرتهم بهجتها. والحياة الدنيا تطلق على مدة بقاء الأنواع الحية على الأرض وبقاء الأرض على حالتها... وهذا المثل منطبق على الحياة الدنيا بإطلاقيها، فهما مرادان منه ... واختلاط النبات وفْرتُه والتفافُ بعضه ببعض من قوة الخِصب والازدهار. والباء في قوله: "به" باء السببية... وفي ذكر الأرض بعد ذكر السماء محسن الطباق. وأصبح مستعملة بمعنى صار، وهو استعمال شائع. والهشيم اسم على وزن فعيل بمعنى مفعول، أي مَهْشوماً محطماً. والهَشْم الكسر والتفتيت. و" تذروه الرياح ": أي تفرقه في الهواء. و"الذرو" الرمي في الهواء. شبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زماناً بَهِجة خَضِرة ثم يصير نبتُها بعد حين إلى اضمحلال. ووجه الشبه المصير من حال حسن إلى حال سَيّء. وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأن الحالة

[1] - أسرار البلاغة في علم البيان، ص: 64.

المشبهة معقولة إذ لم ير الناس بوادر تَقلص بهجة الحياة، وأيضاً شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجِدة وزخرف العيش لأهله، ثم تَقلصُ ذلك وزوال نفعه ثم انقراضُه أشتاتاً بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأتِه عنه ونضارتهِ ووفرتهِ ثم أخذهِ في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطَايره أشتاتاً في الهواء، تشبيهاً لمركب محسوس بمركب محسوس ووجه الشبه كما علمت. وجملة (وكان الله على كل شيء مقتدراً)جملة معترضة في آخر الكلام. موقعها التذكير بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب. وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله (على كل شيء) وهو بذلك العموم أشبه التذييل. والمقتدر القوي القدرة"[1].

وإذا كان هذا شأن المثل في الخطاب القرآني، فإن الاستعارة لا تقل شأنا عن بلاغة التمثيل والتشبيه، إذ جاء التعبير بها عن أخلاق وقيم قرآنية كخلق التواضع للمؤمنين في قوله تعالى: **(واخفض جناحك للمؤمنين)**، والتذلل للوالدين عندما يبلغان الكبر في سورة الإسراء ﴿**واخفضْ لهما جناحَ الذل من الرحمة)**. قال الطاهر بن عاشور: " ثُمَّ ارْتَقَى فِي الْوِصَايَةِ بِالْوَالِدَيْنِ إِلَى أَمْرِ الْوَلَدِ بِالتَّوَاضُعِ لَهُمَا تَوَاضُعًا يَبْلُغُ حَدَّ الذُّلِّ لَهُمَا لِإِزَالَةِ وَحْشَةِ نُفُوسِهِمَا إِنْ صَارَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَعُونَةِ الْوَلَدِ، لِأَنَّ الْأَبَوَيْنِ يَبْغِيَانِ أَنْ يَكُونَا هُمَا النَّافِعَيْنِ لِوَلَدِهِمَا. وَالْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ التَّخَلُّقُ بِشُكْرِهِ عَلَى إِنْعَامِهِمَا السَّابِقَةِ عَلَيْهِ.وَصِيغَ التَّعْبِيرُ عَنِ التَّوَاضُعِ بِتَصْوِيرِهِ فِي هَيْئَةِ تذلل الطَّائِر عِنْد مَا يَعْتَرِيهِ خَوْفٌ مِنْ طَائِرٍ أَشَدَّ مِنْهُ إِذْ يَخْفِضُ جَنَاحَهُ مُتَذَلِّلًا . فَفِي التَّرْكِيبِ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ وَالْجَنَاحُ تخييل بِمَنْزِلَة تَخْيِيلُ الْأَظْفَارِ لِلْمَنِيَّةِ فِي قَوْلِ أَبِي ذُؤَيْبٍ:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ** أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ "[2].

وبأسلوب الاستعارة تكرر تصوير حال المؤمنين في مقابل حال الكفار والمشركين في عدة آيات من الذكر الحكيم؛ ففي سورة البقرة قال سبحانه: ﴿ الله **ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾.

وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾. سورة إبراهيم الاية1. قال الإمام القرطبي: "من الظلمات إلى النور أي من ظلمات

[1] - التحرير والتنوير تفسير آية الكهف45.

[2] - التحرير والتنوير تفسير آية الإسراء 25.

الكفر والضلالة والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وهذا على التمثيل، لأن الكفر بمنزلة الظلمة، والإسلام بمنزلة النور"[1].

وقال ابن عاشور: "و(الظلمات والنور) استعارة للكفر والإيمان، لأن الكفر يجعل صاحبه في حيرة فهو كالظلمة في ذلك، والإيمان يرشد إلى الحق فهو كالنور في إيضاح السبيل. وقد يستخلص السامع من ذلك تمثيل حال المنغمس في الكفر بالمتحير في ظلمة، وحال انتقاله إلى الإيمان بحال الخارج من ظلمة إلى مكان نير"[2].

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جاءت بأساليب بيانية أخرى، نحتاج في فهمها وتفسيرها إلى فهم نوع الأسلوب، وتحديد الغرض منه **كأسلوب الكناية**؛فالتعبير القرآني عن حاجات الإنسان الطبيعية غالبا ما يأتي بالكناية. ففي آية الطهارة، على سبيل المثال كنايتان: كناية عن الحدث، وكناية عن الجماع، قال تعالى: (**وإن كنتم مرضى أو على سفرٍ أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا**). المائدة 6. ونجد تفصيلا للكنايات في القرآن الكريم ذلك في كتاب قيم لأحمد فتحي رمضان الحياني عنونه: "الكناية في القرآن الكريم: موضوعاتها ودلالاتها البلاغية"[3].

وجاءت في القرآن الكريم آيات كثيرة بأسلوب **المجاز المرسل**؛ كقوله تعالى: (**واسأل القرية التي كنا فيها**)، **(جعلوا أصابعهم في آذانهم) (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) (هو الذي ينزل لكم من السماء رزقا) (إني أراني أعصر خمرا)**...

كل تلك الأساليب تحتاج إلى معرفة بالبلاغة وأساليبها البيانية وأغراضها ووظائفها البيانية والحجاجية والتأثيرية، حتى يستقيم تدبر القارئ، ويأمن من الزلل في الفهم والتفسير ويحصل الانتفاع بالقرآن الكريم.

أساليب علم المعاني و أثرها في تحليل الخطاب القرآني

تبين مما سبق، أثر أساليب البيان في تدبر القرآن الكريم وتفسيره وفي كل أشكال التعامل معه، فالخطاب أي خطاب يتشكل من أساليب علم المعاني،ويتأسس على قاعدتها، فهي العمدة في بناء الخطاب، وهي بالتبع العمدة في أي عملية من العمليات التي تتقصده. لذلك فإن أي نوع من أنواع التعامل

[1] - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: تفسير آية إبراهيم1.

[2] - التحرير والتنوير تفسير تفسير آية إبراهيم1.

[3] - الكناية في القرآن الكريم: موضوعاتها ودلالاتها البلاغية، دار غيداء للنشر والتوزيع الطبعة الأولى،(1435 هـ/ 2014م).

مع الخطاب القرآني (قراءة – تدبرا – تفسيرا – استنباطا...) ومع السنة النبوية (فهما وتفسيرا وفقها) يحتاج إلى التسلح بالمعرفة المعمة المتعلقة بهذه الأساليب: أنواعا، وصيغا، وأغراضا ومقاصد.
فأول سورة نزلتْ من الوحي، وهي سورة اِقرأْ، جاءت بهذه الأساليب، ففيها الأمر والاستفهام وما يفيدانه من أغراض مقامية، وفيها التكرار، وفيها الخبر بأنواعه إثباتا ونفيا وتأكيدا وشرطا، وفيها التقديم، والتعريف... وما تفيده تلك الأساليب من ترغيب وتهديد وزجر وإنكار...

والمتتبع للشأن البيداغوجي المتعلق بالبلاغة العربية في المؤسسات التأهيلية والجامعية، يلحظ أن علم المعاني لم يحظ بالاهتمام الذي حظي به علم البيان،رغم أهميته وقيمته التواصلية والحجاجية والتبليغية،ورغم الحاجة إليه في بناء الخطاب وفهمه وتحليله وتأويله؛إذ غالبا ما يقتصر على دروسه الأولى، ولا يتم استيعاب ظواهره المختلفة، وأغراض أساليبه المتنوعة تنوع السياقات التخاطبية والمقامات التداولية. لذلك ينبغي إعادة النظر في طرق تدريسه، وسبل إفهامه، إذ لا بد من المعرفة المعمقة بأساليبه وأغراض تلك الأساليب ووظائفها ليحصل الفهم بالخطاب، وننجح في بناء الخطاب وفهمه و التواصل به.
والخطاب القرآني غني بأساليب علم المعاني؛ إذ لا تخلو آية قرآنية من أسلوب من أساليب علم المعاني، مما يجعل القارئ الجاهل لهذه الأساليب وأغراضها حائرا أمام الآية القرآنية التي استعمل فيها الخبر أو الإنشاء استعمالا مقاميا يستدعي تأويله في سياقه التخاطبي.
لذلك أجدني مضطرا للتعريف بهذا العلم،وبيان أهميته وأساليبه وأغراضه حتى أسهم في الجهود المبذولة للنهوض بالدرس البلاغي العربي في أبعادها البيانية والتواصلية والتأويلية والحجاجية التي تعرضت لما تعرضت له البلاغة من تهميش وانحسار.

تعريف علم المعاني :

علم المعاني: هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع. وقد كانت البلاغة العربية في أول الأمر وحدة شاملة، لمباحث هذه العلوم بلا تحديد ولا تمييز، وكتب المتقدمين من علماء العربية خير شاهد على ذلك؛ ففيها تتجاور علوم البلاغة ويختلط بعضها ببعض من غير فصل. وشيئا فشيئا أخذ المشتغلون بالبلاغة ينحون بها منحى التخصص والاستقلال. ولما جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري وضع نظرية علم المعاني في كتابه " دلائل الإعجاز"، ونظرية علم البيان في كتابه "أسرار البلاغة"، وكان عبد الله ابن المعتز قد وضع قبله أساس علم البديع في كتابه " البديع".

وقد عرف السكاكي علم المعاني بقوله: "إنه تتبع خواص تراكيب الكلم في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطإ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".

مباحث علم المعاني:

يمكن حصر موضوعات علم المعاني التي وردت في القسم الثالث من كتاب " المفتاح"، للسكاكي على النحو الآتي:

- ✓ الخبر والإنشاء؛
- ✓ أضرب الخبر وأغراضه؛
- ✓ أنواع الإنشاء وأغراضه؛
- ✓ انواع الطلب الخمسة: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء؛
- ✓ أغراض الأساليب الخبرية والإنشائي؛
- ✓ الفعل ومتعلقاته؛
- ✓ التعريف والتنكير؛
- ✓ الذكر والحذف؛
- ✓ التقديم والتأخير؛
- ✓ الوصل والفصل؛
- ✓ القصر، أنواعه، وطرقه؛
- ✓ الإيجاز والإطناب؛
- ✓ ...

الخبر:أغراضه وأهميته في تدبر الخطاب القرآني

للخبر وأغراضه أثر كبير في فهم الخطاب القرآني وتدبره وفي كل أشكال التعامل معه والانتفاع به. فالخطاب، أي خطاب، يتكون من خبر وإنشاء، وكلاهما له دلالات ومعان وأغراض تتعدد تعددَ السياق والمقام الذي أجري فيه الأسلوب.

لذلك فمن مفاتيح الفهم والتدبر القرآني المعرفة بالبلاغة العربية عموما، وبأساليب علم المعاني على وجه خاص؛ فالأساليب القرآنية، جاءت متنوعة خبرا وإنشاء، ووصلا وفصلا، وإيجازا واطنابا، وقصرا والتفاتا، وحذفا وذكرا وتقديما وتأخيرا وتعريفا وتنكيرا... وكل ذلك لا بد من الإلمام به وبأغراضه وسياقات استعماله، وعلاقته بأطراف العملية التواصلية.

وحتى لا يبقى الكلام عاما سأقدم نماذج وأمثلة من القرآن الكريم تبين ضرورة المعرفة بعلم المعاني لمتدبر القرآن الكريم ولكل من يقصد والانتفاع به.

فلنقف عند بعض النصوص القرآنية

قال الله تعالى:

- (إنَّ اللهَ وملائكته يصلون على النبيِّ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسْليما).

أخبرنا الله عز وجل بأنه يصلي على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأن ملائكته أيضا تصلي عليه، وذلك لبيان منزلة النبي – صلى الله عليه وسلم – ومقامه عند الله تعالى وعند الملائكة. والقصد من ذلك الترغيب في الصلاة عليه، لذلك جاء بعد الخبر الأمر بالصلاة عليه مسبوقا بأسلوب النداء. (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلِّموا تسْليما).

وقد جاء الخبر هنا مؤكدا بالمؤكد "إن". والجملة توطئة وتمهيد لما بعدها، وهو الأمر بالصلاة على النبي.

ولبيان أهمية دلالة الأسلوب الخبري في الفهم والتفسير والتأويل، لنقفْ عند أقوال المفسرين في آية البقرة. (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أنْ يُتِمَّ الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف)البقرة233،

قال الزمخشري: "(يرضعن): مثل يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد"[1].

وقال ابن عطية: قوله (يُرضعن) **خبر معناه الأمر على الوجوب** لبعض الوالدات، والأمر على الندب **والتخيير لبعضهن** وتبعه البيضاوي.

قال الطاهر بن عاشور: "أي: والوالدات منهن، أي من المطلقات المتقدم الإخبار عنهن في الآية السابقة عليها، أي المطلقات اللاتي لهن أولاد في سن الرضاعة... وجملة (يُرضعن) خبر مراد به التشريع، وإثبات حق الاستحقاق، وليس بمعنى الأمر للوالدات والإيجاب عليهن؛ لأنه قد ذكر بعد أحكام المطلقات.... أي من حقهن ذلك"[2].

فهذا النموذج يبين بجلاء أن المفسرين تعددت عندهم دلالات الأمر في الآية – موضوع التفسير – بسبب السياق البلاغي، وأن الأسلوب الخبري –عندهم- لا يراد به الإخبار بل تحول معناه إلأى معنى إنشاء، هو الأمر، لكن لم يقف التحليل عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى البحث في دلالة الأمر، أهي الوجو أم الندب أم الاستحقاق؟

[1] - تفسير الكشاف للزمخشري

[2] - التحرير والتنوير

وقد بدا ابن عاشور أكثر إلماما بسياق الأسلوب ومقام إجرائه لما تنبه إلأى أن الآية جاءت في سياق الحديث عن الأمهات المطلقات، وليس جميع الأمهات، مما ساعده على ضبط التأويل والتفسير، وبيان المراد الذي تترتب عليه أحكام فقهية وقضائية تتعلق بالأبناء في حال الطلاق، ولمن تكون الحضانة.

وبهذه المنهجية البلاغية تعامل ابن عاشور مع آية أخرى في سورة البقرة؛ إذ قال في قوله تعالى: **(والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)**: "وجملة (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) خبرية مراد بها الأمر، فالخبر مستعمل في الإنشاء وهو مجاز..."[1].

فلننظر إلى قوله: "وجملة (يتربصن بأنفسهن...) خبرية مراد بها الأمر... فهو تبيه هام إلى قارئ هذه الآية، حتى يستقيمَ له الفهم، فالجملة ليست مجرد إخبار، بل هي أمر يلزمه عمل؛ فعلى المطلقات أن يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء، وهذا حكم تشريعي مرتبط بأحوال المرأة والأحكام التي ينبغي التخلق بها في حال الطلاق. هذا الحكم التشريعي تم التعبير عته بالأسلوب البلاغي، لكن هذا الأسلوب البلاغي (الخبر)، خرج عن أصله (الإخبار) فأفاد معنى إنشائيا (الأمر). ثم ما حكم الأمر هنا؟ الوجوب أم الندب أم الإباحة أم ماذا؟ فمعرفة الحكم هنا ضرورية للمخاطب، مهما يكن موقعه (مستهدَفا بالخطاب أو قاضيا أو مفسرا أو قارئا متدبرا).

وهذا النموذج يبين بجلاء أن الأحكام الشرعية في الخطاب القرآني تم التعبير عنها بأسلوب بلاغي، قد يكون مباشرا في الدلالة عليها، وقد يكون غير مباشر؛ فيحتاج إلى هذا النوع من البيان.

إن النصوص السابقة لتظهر بما لا يدع مجالا للشك أهمية استحضار المعاني المقامية للأساليب الخبرية في قراءة أي نص أو خطاب. ولذلك لا غرابة أن نجد البلاغيين يلحون على أخذ المقام والسياق بعين الاعتبار. فالمفسرون اختلفوا في تفسير الآيات السابقة، بسبب الأسلوب البلاغي ودلالاته، أهو خبر مراد به الخبر؟ أم أمر مراد به الوجوب ؟ أم أمر مراد به الندب أو التخيير.

ثم لنلاحظ حرص المفسر على ربط الاية بسياقها، وبيانه أن لها علاقة بالمطلقات،اللواتي تقدم الحديث عنهن، وليس جميع الأمهات... وما نتج عنه من فهم وتفسير واستنباط.

المعاني المقامية للأساليب الإنشائية

يقول السكاكي: "واعلم أن الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر ،لا يصار إلى ذلك إلا لتوخي نكت قلما يفطن لها من لا يرجع إلى دربة في نوعنا هذا"[1].

[1]- التحرير والتنوير تفسير الآية:

نبه السكاكي في هذا النص إلى أن الخبر والإنشاء قد يخرجان عن أصل وضعهما لأغراض بلاغية، وأن أحدهما قد يستعمل مكان الآخر، أي أن الأسلوب الخبري قد يفيد معنى إنشائيا كالدعاء والتعجب... والأسلوب الإنشائي ربما دل على الخبر كإفادة الاستفهام للنفي والتقرير ... وذلك لأغراض بلاغية[2].

فالأساليب الإنشائية، عند البلاغيين، هي أكثر خروجا لا على مقتضى الظاهر. وخصها السكاكي ببحث مفصل تميز به عن غيره من البلاغيين. فعبد القاهر الجرجاني على سبيل المثال، اهتم أساسا بالاستفهام ومتى يكون للتقرير ومتى يفيد الإنكار ومتى يكون ذلك للفعل أو للفاعل أو المفعول، بحسب ما تم تقديمه. وجاء ذلك عنده ضمن مبحث التقديم والتأخير[3]. أما السكاكي فبين بتفصيل ما قد تفيده الأساليب الطلبية من معان مقامية.

فقد قسم الأساليب الإنشائية الطلبية إلى نوعين :

1 - نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول وهو التمني .

2 - ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول ويشمل باقي الأساليب الإنشائية الطلبية .

ثم قال: "ومتى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما ناسب المقام كما إذا قلت لمن همك همه: ليتك تحدثني ، امتنع إجراء التمني، والحال ما ذكره، على أصله فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله وولد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال".

وهكذا فالاستفهام عنده يتولد عنه، بمعونة قرائن الأحوال التعجب والاستخفاف والتحقير والإنكار والتقرير والتمني والتهديد ... والأمر يفيد الدعاء والالتماس والندب والإباحة والتهديد...

والأمر يفيد الدعاء والالتماس والنصح والسخرية والتعجيز والندب والإباحة والتهديد...

والنهي قد يفيد الدعاء والنصح والتهديد والتهكم والتحقير وغيرها من المعاني.

والنداء قد يفيد التحسر أو التعظيم أو المدح ... والتمني قد يفيد الطلب والسؤال .

وكل ذلك حسب السياق والقرائن الحالية والمقالية.

---

[1] - مفتاح العلوم ص : 323

[2] - مفتاح العلوم ص : 323

[3] - دلائل الإعجاز، ص 106.

الأغراض المقامية للأساليب الإنشائية الطلبية

1- الاستفهام

الأصل في الاستفهام أن يفيد السؤال؛ لأنه طلب الحصول على معلوم يجهلها المستفهِم ويفترض توفرها عند المستفهَم. فإن تم خرق هذه الشروط في إجرائه خرج إلى معان أخرى تفهم من سياق استعماله. ومن أبرز الأغراض المقامية التي يخرج إليها الاستفهام:

- **النفي**: قال تعالى:

(قلْ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر: 9.

(فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين) الروم: 29

(هل جزاء الإحسن إلا الإحسن) الرحمن: 60

قال المتنبي: ومن لم يعشق الدنيا قديما *** ولكن لا سبيل إلى الوصالِ

- **التعجب** : من ذلك قوله تعالى:

(وقالوا مالِ هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق) الفرقان الآية: 7

((ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) النمل: 20

- **التمني**: قد يخرج الاستفهام إلى التمني لما يكون المستفهَم عنه بعيدا أو مستحيل التحقق، ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى:

(هلْ من شفيع) (هل إلى خروج من سبيل)

قال الشاعر:

أسِربَ القطا هل من معير جناحه *** لعلي إلى من هَويتُ أطير

هلْ بالطلول لسائل ردُّ *** أم هل لها بتكلم عهد؟

- **التقرير**: من المعاني المقامية التي يفيدها الاستفهام التقرير:

قال تعالى: (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) ؟

(ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) ؟

- **الافتخار**: قال أبو فراس مفتخرا :

أضاعوني، وأيّ فتى أضاعوا * ** ليوم كريهةٍ وسداد ثغْرِ

- **المدح** : قال الشاعر: مَنْ للمحافلِ والجحافلِ والسرى *** فقدت بفقدك نيرا لا يطلع

- **التحقير**: ومما منه ورد في القرآن الكريم على لسان الكفار:

(وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزؤا أهذا الذي بعث الله رسولا) الفرقان: 41.

وقال الشاعر: فدعْ الوعيد فما وعيدك بضائري *** أطنينُ أجنحةِ الذبابِ يضيرُ؟

- الإنكار: ومن أمثلته في القرآن: **(أفأصفاكم ربكم بالبنين و اتخذ من الملائكة إناثا) الإسراء:40**

(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة) الأنعام: 74

(أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) الصافات: 95.

- **التهكم :** ويقال له أيضا: السخرية والاستهزاء؛ ومن أمثلته في القرآن الكريم:

(قالوا يا شعيبُ أصلواتك تامرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء) هود: 87

(فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تاكلون؟ ما لكم لا تنطقون) الصافات: 91.

- الأمر: (فهل أنتم مسلمون؟) هود:14 ، أي أسلموا، (فهل أنتم منتهون؟) المائدة: 91 ، أي انتهوا...

- **النهي :** (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) التوبة: 13: أي : لا تخشوهم.

هذا والمعاني المقامية التي قد يخرج إليها الاستفهام كثيرة؛ كالاستبطاء والاستبعاد والتسوية والتحضيض والتشويق والتهويل والوعد والوعيد والعرض والالتماس...

2) أسلوبا الأمر والنهي

الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، وله أربع صيغ تنوب عنه: فعل الأمر – الفعل المضارع السبوق بلام الأمر – المصدر النائب عن فعل الأمر – اسم فعل الآمر.

لكن الأمر قد يخرج عن معناه الحقيقي ليفيد معاني تستفاد من السياق وقرائن الأحوال، وكذلك النهي، ومن معانيهما المقامية:

- **الدعاء:**

من أمثلة ذلك قوله تعالى: (ربنا لا تزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة) آل عمران: 8.

(واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) البقرة. 286.

- **التمني:**

قال الشاعر:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي *** وعِمي صباحا دار عبلة واسلمي

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي *** بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ

- **النصح والإرشاد**: وهو الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه

فانهض إلى صهوات المجد معتليا *** فالباز لم يأوِ إلا عاليَ القلل

- **التعجيز** : ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:

(فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين) البقرة

- الالتماس: وهو الأمر الصادر عن الأنداد والنظراء المتساوين قدرا ومنزلة.
- الإباحة : ومن نماذجه في القرآن قوله تعالى في آيات الصيام: (كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) البقرة:
- الإهانة والتحقير: (ذقْ إنك أنت العزيز الكريم)
- التسوية : (أنفقوا طوعا أو كرها لن يُتقبل منكم)

ومن المعاني التي يخرج إليها الأمر والنهي: التهديد - الوعيد – التعجب والاستغراب ...

أسلوب القصر:

القصر لغة: الحبس واللإلزام، تقول قصرت نفسي على الشيء إذا حبستها وألزمتها إياه، كما تقول: قصرت الشيء على كذا إذا لم تجاوز به غيره. والقصر في اصطلاح علماء المعاني: تخصيص شيء بشيء أو أمر بآخر بطريق مخصوص.

ولأسلوب القصر طرفان: مقصور ومقصور عليه. وله طرق عدة يؤدى بها.

نصوص من القرآن الكريم:

قال الله تعالى:

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والسراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[1].

﴿ إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون 2﴾[2].

﴿ إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[3].

﴿ إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[4].

وقال تعالى في تعريف من يعمر المساجد: ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ التوبة 18 .

وقال سبحانه في بيان من يخشاه حق الخشية:﴿ إنما يخشى اللّهَ من عباده العلماءُ﴾فاطر 28.

وقال تعالى في حقيقة التوبة: ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان اللهُ عليما حكيما﴾ النساء:17.

﴿وما محمد إلا رسول قد خلتْ من قبله الرسل﴾آل عمران 144.

﴿ قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ الحجرات 14

﴿لنْ تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ آل عمران: 92

---

[1]- البقرة/177

[2]- الأنفال/2

[3]- الحجرات/10

[4]- الحجرات/15

نصوص من الحديث النبوي:

قال الرسول علية الصلاة والسلام: "ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". صحيح البخاري (6114)، صحيح مسلم (2609)

"ليس الواصل بالمكافئ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطِعتْ رحمه وصلها". صحيح البخاري (5991).

" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" صحيح البخاري (1)

طرق القصر

طرق القصر متنوعة، وهي:

1) **النفي والاستثناء النفي والاستدراك أو ما يفيد الإثبات**، وذلك بأي أداة من أدوات النفي (لا – لم – ليس – ما – لن ...) + (إلا)،أو (لكن – بل - حتى)، كما يتضح من الشكل الآتي:

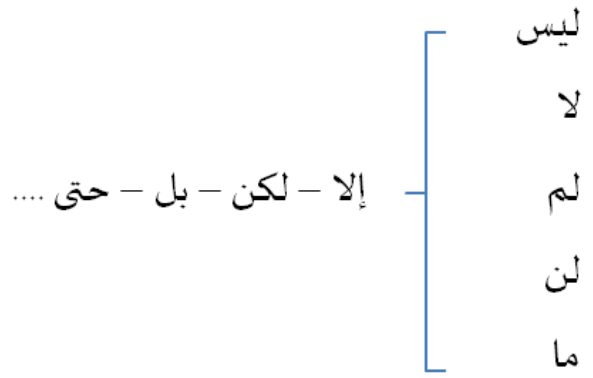

2) **إنما**: وهي الأصل في القصر، وغالبا ما تستعمل وحدها، وقد تأتي بعد النفي، مثل:

- ﴿ إنما المومنون إخوة﴾
- قال الشاعر:

إنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ *** فإنْ همُ ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

3) العطف ب " لا" ، أو "لكن" ، أو " بل"،

قال المتنبي:

عمر الفتى ذكره لا طول مدته *** وموته خزيه لا يومه الداني

4) تقديم ما حقه التأخير. ومن نماذجه في القرآن قوله تعالى: (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء) (إياك نعبد وإياك نستعين).

أركان القصر:

يسمي علماء المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل اسم (القصر). وأما الوسائل فهي عندهم (طرق القصر). ويسمون ما تم قصره (مقصورا)، وما قصر الشيء عليه (مقصورا عليه).

أنواعه:

1) قصر صفة على موصوف ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾

2) قصر موصوف على صفة ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر من آمن ﴾ الآية.

بلاغة القصر وأهميته

يكتسي أسلوب القصر قيمة مهمة في التعبير والتواصل؛ إذ يتم به توضيح حقيقة المفاهيم، وإثبات خصائصها الجوهرية، ونفي ما شابها من خصائص شكلية لا تعكس جوهرها ولا حقيقتها، بل علقت بأفهام الناس وشاعت حتى صارت تخفي مفهومها الحقيقي والجوهري.

لذلك فأسلوب القصر، فضلا عن قيمته التعبيرية والدلالية والأسلوبية، فله وظائف حجاجية وتداولية مهمة في الخطاب وفي التواصل.

لهذا تردد كثيرا في الخطاب القرآني والنبوي؛ إذ به تم تصحيح كثير من المعتقدات والتصورات والقيم، ونفي ما علق بها من أوهام. فبه تم في القرآن الكريم بيان حقيقة الإيمان والبر والتقوى والتوبة، وبه تم في الحديث النبوي بيان حقيقة الهجرة والإخلاص والواصل والشديد وغيرها من المفاهيم. لذلك نجد أسلوب القصر يكثر في الخطابات الحجاجية، وفي التواصل، كلما تعلق الأمر بتصحيح معلومة أو مفهوم أو الرد على زعم باطل.

فلنتأمل هذه النماذج :

الأسلوب القرآني	نوعه	المقام التخاطبي
﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾	قصر صفة على موصوف	بيان حقيقة من يخشى الله تعالى حق الخشية
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر﴾	قصر صفة على موصوف	نصحيح مفهوم البر وبيان حقيقة البار بذكر أوصافه
﴿وما محمد إلا رسول قد خلتْ من قبله الرسل﴾	قصر موصوف على صفة	تصحيح ما يعتقد بشأن محمد وأنه رسول من الرسل.
﴿إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين	قصر موصوف	بيان حقيقة الموصوف (المومنون) وأنهم إخوة

أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾	على صفة	لبيان ما يترتب على هذه الصفة (الإصلاح – التكافل – التراحم ...)
﴿ إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾	قصر موصوف على صفة	بيان حقيقة الموصوف (المومنون) وأوصافهم التي ينالون بها هذه المرتبة (مرتبة الإيمان).
﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾	قصر صفة على موصوف	القصد قصر صفة العبادة والاستعانة على الله للتعبير عن الإخلاص.
﴿ لايعلم الغيب إلا الله﴾	قصر صفة على موصوف	قصر علم الغيب على الله سبحانه دون غيره لتصحيح اعتقاد من يظن غير ذلك.

الإيجازوالاطناب وأهميته في فهم الخطاب:

من أبرز مباحث علم المعاني التي لها صلة وثيقة بالخطاب والمقام مبحث الإيجاز والاطناب. فالبلاغة هي الإيجاز في مواضع الإيجاز والاطناب في مواضع الاطناب. ويكتسي هذا الأسلوب أهمية في فهم الخطاب القرآني وتدبره.

- **الإيجاز:**

أشاد العرب بالإيجاز في القول منذ العصر الجاهلي . وقد تطور مفهوم الإيجاز في العصور الإسلامية الموالية وصار ينظر إليه على أنه مطلب بلاغي، ففي العصر العباسي ، قال الجاحظ في تعريفه: « الإيجاز هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.»[1].

وإذا تتبعنا « الإيجاز» عند البلاغيين وجدنا مفهومه واحدا ، وإن اختلفت صيغ التعبير عنه، وهو: «جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح». والإيجاز عند البلاغيين ضربان:

1- **إيجازقصر:**

وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني. وقيل: هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف. وهذا النوع عند ابن الأثير هو أعلى طبقات الإيجاز مكانا وأعوزها إمكانا.

ومما ورد من إيجاز القصر في القرآن الكريم: قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)، فإن قوله تعالى: (القصاص حياة) لا يمكن التعبير عنه إلا بالألفاظ الكثيرة . ومن أمثلته كذلك في القرآن الكريم: (ألا له

[1] - كتاب الحيوان 3\86

الخلق والامر) ، كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء. وقوله تعالى: (والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس) ، جميع أنواع التجارات ، وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد والإحصاء. وقوله تعالى: (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، فجمع مكارم الأخلاق بأسره.... وقوله تعالى: (وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقُضِي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين.)

إيجاز حذف :

وهو القسم الثاني للإيجاز، ويعرفه البلاغيون بقولهم: «هو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف. ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه. ومن مواضع إيجاز الحذف:

حذف الحرف: (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)، فالمراد: لا تفتأ، أي: لا تزال.

حذف المضاف ؛ (واسأل القرية التي كنا فيها)؛ إذ المراد: اسأل أهل القرية.

حذف الموصوف، (وآتينا الناقة مبصرة) أي : آية مبصرة. (من عمل صالحا، من ذكر أو انثى، وهو مومن، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل: 97. ففي قوله تعالى: (من عمل صالحا) حذف للمصدر (عملا)، وذلك أبلغ، إذ بذلك الحذف صُرف هم القارئ إلى صلاح العمل لا إلى جنسه.

حذف الصفة، ومثاله قوله تعالى:(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا) الكهف، فلم يكن الملك يأخذ كل سفينة بل يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، فحذفت الصفة لأن المراد مفهوم.

حذف القسم أو جوابه ، وهو كثير في القرآن الكريم وفي كلام العرب؛

حذف لو وشرطها ، أو جوابها فقط ، وذاك من ألطف ضروب الإيجاز وأحسنها.

ومن صور إيجاز الحذف، حذف جملة أو أكثر ، ومن أمثلته قوله تعالى في حكاية موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب: (**فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير، فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجْر ما سقيتَ لنا).**

ففي هذه الآيات تم حذف عدة جمل فضلا عن المفردات؛ فسقى لهما ماذا؟ وكيف تولى إلى الظل؟ وبماذا أحس وماذا قال؟ وماذا قالت ابنتي شعيب لأبيهما؟ وما تعليقه؟ ثم ما طبيعة الحوار الذي دار بين البنتين وأبيهما؟ ... القصة تطرح عدة تساؤلات نظرا لإيجازها العجيب.

- الاطناب

أشار أبو هلال العسكري إلى الاطناب في معرض كلامه عن الحاجة إلى الإيجاز والاطناب فقال: «والقول القصد أن الإيجاز والاطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه، ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الاطناب في مكانه. فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الاطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الاطناب أخطأ»[1].

والاطناب عند البلاغيين «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة» ابن الأثير. وهذا الحد هو الذي يميزه، عنده، عن التطويل، إذ التطويل: « هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة»، كما يميزه عن التكرير الذي هو: «دلالة اللفظ على المعنى مكررا، كقولك لمن تستدعيه: أسرِعْ أسرِعْ، فإن المعنى مردد واللفظ واحد.» وكل تكرير يأتي لفائدة، فهو عنده، جزء من الاطناب وهو أخص منه[2].

ويأتي الاطناب في الكلام على أنواع مختلفة لأغراض بلاغية منها:

الإيضاح - ذكر الخاص بعد العام - ذكر العام بعد الخاص - التكرير لداع - الإيغال - الاحتراس - لاعتراض – التذييل.

خلاصة

أخلص مما سبق بيانه إلى القول إن المعرفة بالبلاغة العربية وأساليبها وأغراض تلك الأساليب وما يتعلق بذلك من مقتضيات مقامية وسياقية، أمر ضروري لكل من يريد التعامل مع القرآن الكريم تحليلا وتدبرا وتفسيرا واستنباطا.

وما قدمته في هذا البحث هو غيض من فيض، مما تزخر به كتب البلاغة العربية وكتب التفسير وكتب فقه اللغة والمصنفات الفقهية والأصولية.

لذلك فالأمة اليوم مدعوة إلى تعليم البلاغة العربية وتعلمها لتأمين طرق التعامل مع القرآن الكريم وصونها من الزلل والانحراف وما قد يقع فيه المتعامل مع الخطاب القرآني من زيغ في الفهم بسبب الجهل بأساليب البلاغة العربية وأغراضها ودلالاتها، وما قد يعرضُ لها من انزياح عن تلك المعاني والمقاصد بسبب السياق والمقام.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

[1]- كتاب الصناعتين، ص: 190.

2 - المثل السائر، ص:

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- أسرار البلاغة في علم البيان للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد الاسكندراني ومحمد.بمسعود، دار الكتاب العربي، ط 1418/2هـ، 1998م.

- الآمدي الإحكام في أصول الأحكام،علق عليه عبد الرحمن عفيفي، دار الصميعي، الطبعة الأولى (1424هـ/2003م).

- البرهان في وجوه البيان، تأليف أبي الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تقديم وتح حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة.

- البلاغة الكبرى؛ نحو نظرية وجودية لصناعة الخطاب وتأويله، ج 1، محمد بازي، دار كنوز المعرفة، ط1 (1443هـ/2022م).

- البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، بدوي طبانة، مطبعة الرسالة، ط2 (1377 هـ-1958م).

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح عبد السلام هارون، ط1، القاهرة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع (2010).

- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره أحمد صقر، المكتبة العلمية، دون طبعة ولا تاريخ.

- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس (1404هـ/ 1984م).

- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم الزمخشري (ت538هـ)، دار الكتب العلمية، ط3(1424هـ/2003م).

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني،حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3(1976م).

- الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1413هـ، 1993م.

- الحيوان لأبي عثمان الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الجيل، بيروت، ط/1412هـ،1992م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الثالثة (1413 هـ، 1992م)

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأحمد بن فارس، تحقيق عمر فاروق، مكتبة المعارف-بيروت، ط 1

- في البلاغة العربية، علم المعاني –البيان – البديع، عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية، بيروت، دون طبعة ولا تاريخ.

- قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، ط1 (1405هـ/1985م)،

- كتاب البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1433هـ / 2012م.

- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1406هـ،1986م.

- الكناية في القرآن الكريم، موضوعاتها ودلالاتها البلاغية،أحمد فتحي رمضان الحياني ،دار غيداء عمان، ط1 1435هـ/2015م).

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لأبي الفتح ضياء الدين بن الأثير، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط/1411هـ،1990م.

- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق محمد فؤاد، الطبعة الأولة (1374هـ/1954م).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي(ت546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان) الطبعة الأولى (2001/1422م).

- معجم البلاغة العربية، تأليف بدوي طبانة، دار ابن حزم، بيروت، ط4 (1408هـ-1977م)،

- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف السكاكي، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2/1407هـ،1987م.

- مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1(1411هـ، 1991م).

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة/ دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الثالثة (1986).

المو اقع الإلكترونية

- موقع تفسير آيات القرآن الكريم: https://www.altafsir.com، موقع متخصص في القرآن الكريم وعلومه وكتب التفسير.